

تفسير البحر المحيط

@ 443 @ وكتب في المصحف لام الجر مفصولة من { هَذَا } و { هَذَا } استفهام يصحبه استهزاء أي { مَّالَ * هَذَا } الذي يزعم أنه رسول أنكروا عليه ما هو عادة للرسول كما قال { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ } أي حاله كحالنا أي كان يجب أن يكون مستغنياً عن الأكل والتعيش ، ثم قالوا : وهب أنه بشر فهلا أرفد بملك ينذر معه أو يلقي إليه كنز من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش . ثم اقتنعوا بأن يكون له بستان يأكل منه ويرتزق كالمياسير . وقرء فتكون بالرفع حكاه أبو معاذ عطفاً على { أَنْزَلَ } لأن { أَنْزَلَ } في موضع رفع وهو ماض وقع موقع المضارع ، أي هلا ينزل إليه ملك أو هو جواب التحضيض على إضمار هو ، أي فهو يكون . وقراءة الجمهور بالنصب على جواب التحضيض . وقوله { أَوْ يُلَاقَى } { أَوْ } يكون عطف على { أَنْزَلَ } أي لو لا ينزل فيكون المطلوب أحد هذه الأمور أو مجموعها باعتبار اختلاف القائلين ، ولا يجوز النصب في { أَوْ يُلَاقَى } ولا في { أَوْ تَكُونُ } عطفاً على { فَيَكُونُ } لأنهما في حكم المطلوب بالتحضيض لا في حكم الجواب لقوله { لَوْ * لَا * أَنْزَلَ } . وقرأ قتادة والأعمش : أو يكون بالياء من تحت . وقرأ { يَأْكُلُ } بياء الغيبة أي الرسول ، وزيد بن عليّ وحمزة والكسائي وابن وثاب وطلحة والأعمش بنون الجمع أي يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم .

{ وَقَالَ الظَّالِمُونَ } أي للمؤمنين . قال الزمخشري : وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم وضع الظاهر موضع المضمحل ليسجّل عليهم بالظلم فيما قالوه انتهى . وتركيبه وأراد بالظالمين إياهم بأعيانهم ليس تركيباً سائغاً بل التركيب العربي أن يقول : وأرادهم بأعيانهم بالظالمين { مَّسْخُورًا } غلب على عقله السحر وهذا أظهر ، أو ذا سحر وهو الرئة ، أو يسحر بالطعام وبالشراب أي يُغذي ، أو أصيب سحره كما تقول رأسته أصبت رأسه . وقيل { مَّسْخُورًا } ساحراً عنوا به أنه بشر مثلهم لا ملك . وتقدم تفسيره في الإسراء وبهذين القولين قيل : والقائلون ذلك النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد ومن تابعهم . .

{ أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ } أي قالوا فيك تلك الأقوال واخترعوا لك تلك الصفات والأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك وإلقاء كنز عليك وغير ذلك فبقوا متحيرين ضللاً لا يجدون قولاً يستقرون عليه ، أي فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً له

. وقيل : { ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ } بالمسحور والكاهن والشاعر وغيره { فُضِّلُوا }
أخطؤوا الطريق فلا يجدون سبيل هداية ولا يطبقونه للتباسهم بضده من الضلال . وقيل { فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا } إلى حجة وبرهان على ما يقولون ، فمرة يقولون هو بليغ فصيح
يتقول القرآن من نفسه ويفترية ومرة مجنون ومرة ساحر ومرة مسحور . وقال ابن عباس : شبه
لك هؤلاء المشركون الأشباه بقولهم هو مسحور فضلوا بذلك عن قصد السبيل ، فلا يجدون طريقاً
إلى الحق الذي بعثك به . وقال مجاهد : لا يجدون مخرجاً يخرجهم عن الأمثال التي {
ضَرَبُوا لَكَ } . ومعناه أنهم { ضَرَبُوا لَكَ } هذه ليتوصلوا بها إلى تكذيبك {
فُضِّلُوا } عن سبيل الحق وعن بلوغ ما أرادوا . .

وقال أبو عبد الله الرازي : { انْطُرْ كَيْفَ } اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا
فائدة فيها لأجل أنهم لما ضلوا وأرادوا القدح في نبوتك ، لم يجدوا إلى القدح سبيلاً إذا
لطن عليه إنما يكون فيما يقدر في المعجزات التي ادعاها لا بهذا الجنس من القول . وقال
الفراء : لا يستطيعون في أمرك حيلة . وقال السدي { سَبِيلًا } إلى الطعن . .
ولما قال المشركون ما قالوا قيل : فيما يروى إن شئت أن نعطيك خزائن الدنيا
ومفاتيحها ، ولم يعط ذلك أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك وليس ذلك بناقص في الآخرة شيئاً ،
وإن شئت جمعناه لك في الآخرة فقال : يجمع لي ذلك في الآخرة فنزل { تَبَارَكَ الَّذِي } .
وعن ابن عباس عنه عليه السلام قال : عرض على جبريل عليه السلام بطحاء مكة ذهباً فقلت :
بل شبعة وثلاث جوعات ، وذلك أكثر لذكري ومسألتي . قال الزمخشري في { تَبَارَكَ } أي
تكاثر خيراً { الَّذِي } { إِن شَاءَ } وهب لك في الدنيا { خَيْرًا } مما قالوا وهو أن يجعل
لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور انتهى . والإشارة بذلك الظاهر أنه إلى ما
ذكره الكفار من الجنة والكنز في الدنيا قاله مجاهد . ويبعد تأويل ابن عباس أنه إشارة
إلى أكله الطعام